إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثامنة ـ العدد الثانی والثلاثون ـ شتاء ۱۳۹۷ش/ کانون الأول ۲۰۱۸م
صص ۲٤ ـ ۹

قضية الالتزام بين الخطابين النقدی والشعری فی الأدب العربی المعاصر

فرامرز میرزائی (الکاتب المسؤول)*
عبدالحسین فقهی**

الملخص

قضية الالتزام من أهم ما اهتم بها النقاد والشـعراء فی الأدب العربی المعاصر. ومن عجب ما يتفطن إليه الباحث الأدبی الاختلاف بين مفهومی الالتزام عند الناقد وعند الشـاعر، فالناقد العربی حدد الالتزام فی دائرة القضايا الاجتماعية خلافا للشـاعر العربی المعاصر الذی حدّده فی دائرة حرية التعبير. هذا النموذج يبيّن أن النقد العربی، فی عصرنا الحاضر يريد أن يوجّه الأدب حسب ميوله النقدية دون الاهتمام بهواجس الشاعر العربی المعاصر. فلماذا حدثت هذه الفجوة بين خطابی النقد والأدب؟ الإجابة عن هذا السـؤال هو ما يهدف إليه هذا المقال وذلک فی منهج تحليلی وصفی متعمد علـی تحليل الآراء النقدية الواردة فی هذا المجال ليصل إلى نتيجة أن الناقد الأدبی الحديث بدل أن يتصل بأدب قومه ويستنتج قضاياه النقدية منه مباشرا، ويتخذه موقعا ليسـتلهم منه فكرته النقدية، اتجه نحو الآراء النقدية الواردة من الغرب كالاشتراكية والوجودية وجعلها قاعدة ليسـتخرج منهـا أصوله النقدية ويفرضها على أدب قومه. هـذه المفارقة بين خطابی النقد والشـعر العربيين لمفهوم الالتـزام الأدبی لداعية إلى التأمـل فی النقد الأدبی المعاصر، فليس من الصحيـح أن يُملَى على الأدب العربی ما هو خارج عن طبيعته العربية.

المفردات الدليلية: الالتزام الادبی، الخطاب النقدی، الخطاب الشعری، الشعر العربی المعاصر.

---

*. أستاذ فی اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران
Mirzaeifaramarz@yahoo.com
**. أستاذ مشارک فی اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، طهران، إيران Afeghhi@ut.ac.ir
تاريخ الاستلام: ۱۳۹۷/۹/۱۰ش تاريخ القبول: ۱۳۹۷/۱۱/۲۵ش

المقدمة

إن الوجـود الشـعرى قبل الوجود النقـدى وبتعبير أدق إن النقـد كلام على كلام، وصـرح أبوحيان التوحيدى «أن الـكلام على الكلام صعـب.» (التوحيدى، ٢٠١١م: ٢٤٩) لأنـه كلام نقـدى ذو معايير عقلية على كلام أدبى ذو معايير شـعورية. وفى النقد الأدبى العربى القديم كان النقاد أقبلوا على الشعر العربى واتخذوه مصدرا لأحكام نقدية أو لاسـتخلاص المعايير النقدية منه وأما فى العصر الحديث فهل اسـتمد النقاد آراءهم النقدية من الشـعر العربى الحديث؟ وهل معاييرهم النقدية الحديثة مستنبطة من الشعر العربى ومن بئية شـعرية عربية؟ يبدو أن منهج النقاد قد تغيّر فراحوا يهتمون بالمدارس النقدية الوافدة آخذين منها آراءهم النقدية ليفرضوها على الشعر العربى المعاصر. هذا ما أدى إلى فجوة بين الشـعر العربى المعاصر ذو خصائص عربية فى لغته وثقافته والنقد العربى المعاصر المتأثر جدا بالمكاتب النقدية الحديثة الغربية.

إن القضايا المعاصرة فى الشعر العربى المعاصر كالوحدة الشعرية والحداثة والالتزام و ماشـابهها، طرحت فى الشـعر كما طرحت فى النقد الأدبى. رغم أن الشـاعر والناقد كلاهمـا متأثران بالتيار الغـربى الحديث إلا أنهما مختلفان فى فهم هـذه القضايا. فلابد للناقد أن يسـتلهم أحكامه النقدية من الشـعر وما يجرى عليـه من مفاهيم حديثة وأن يصدر أحكامه على المعايير التى يسـتنجها من الشـعر العربى ولكننا نجد أن الناقد فى أحايين كثيرة يسمتد أحكامه من المكاتب النقدية الوافدة دون الاهتمام بالشاعر العربى وميوله الشعرية. لاشک أن النقد العربى ليس بمعزل عن التيار التحديث الذى غزا العالم العربى منذ القرن التاسـع عشـر إلى يومنا هذا ولايمكن للنقاد أن يتجاوزوا المنجزات النقدية الحديثة ولكننا مدركون أن الناقد الغربى اسـتمد أحكامه من الأدب الغربى من شـعره ونثره. وهذا يختلف تماما عن الشـعر العربى ذو رسـوب ثقافية عربية وإذن لابد للتيـار النقـدى العربى أن يختلف عن التيار النقدى الغـربى فى اتجاهه ومجراه لإصدار أحكامه على الشعر العربى المعاصر.

وقضية الالتزام من هذه القضايا النقدية الهامة حيث استخدم كمصطلح نقدى وأدبى وسياسـى وفكرى على نطاق واسـع فى الخطاب الأدبى بعد منتصف القرن العشـرين

مــن قبل ثلاثة تيارات نقدية وأدبية وهى الواقعية الاشــتراكية والوجودية الســارترية والإسلامية السياســية وذلک لما يتصف به هذه التيارات الثلاثة من موقف أيدئولوجى تجاه الأدب والنقد. فاهتم به النقاد المعاصرون ثم تطرق ســبيله إلى الأوســاط الشعرية منذ خمسينيات القرن العشرين فعنى به الشعراء مثل النقاد. فالباحث المتفطن يجد أن ما اســتنتجه الناقدون من مفهوم الالتزام يختلف عما شــعر به الشعراء المعاصرون من هذا المصطلح الشــعرى والنقدى معا، أى إن النقد العربى المعاصر لم يســاير الشعر العربى فى إصــدار أحكامه النقدية بل إنه اتبــع الفكرة النقدية الوافدة إليه وحاول أن يطبّقه على العشر العربى المعاصر.

خلفية البحث

إن هناک بحوث كثيرة نشرت حول قضية الالتزام فى المجلات المحكمة ومنها ما نشره حبيب كشاورز، المعنون بـ«الالتزام وأثره فى العاطفة الشعرية فى عصر النهضة (حافظ إبراهيم وأحمد شــوقى نموذجا)» المنشورة فى مجلة "اللغة العربية وآدابها" مجلد ١٤ عدد ٣. تضمنت هذه المقالة مظاهر الالتزام فى شــعر الشــاعرين المعاصرين وعالجت تأثيره الروحى والحســى فى أجواء خلق الشــعر وتجربة الشاعرين الشــعرية ولا تقوم المقالة هــذه على مباحــث نقدية بحتة ولا يذهب المؤلف فيها من منطلــق القضايا الاجتماعية والفلسفية لبيان ما يرام دراسته من زوايا معنى الالتزام وأشكاله على الصعيد الشعرى. وهناک مقالة أخرى لنرجس أنصارى: «شعر فاروق جويدة فى دراسة أسلوبية (دراسة فى شــعره الملتزم)» تم نشــرها فى مجلة "اللغة العربية وآدابهــا" مجلد ١٢ عدد ١. عنيت الباحثة بالبحوث الشــكلانيه لتتطلع على الشعر من رؤيه أسلوبية وتحاول فيها الدراسة على مضامين الالتزام دون الاتجاهات الأخرى التى اهتمت بالعلاقة القائمة بين مفهوم الالتزام ومفاهيم ترتبط بها من منظر علم الاجتماع والسياسة. ومن هذه البحوث ما كتبه فرهاد رجبى: «تحليل شــعر "البحار" و"الدرويش" لخليل الحاوى على أســاس فلسفة ســارتر» المنشــورة فى مجلة "نقد أدب عربى معاصر" دوره ٤ العدد ٧. واهتمت المقالة بمعالجة المعانى المتواجدة فى هذه القصيدة على أســاس الفلســفة الوجودية السارترية

والباحث طبقها على مضامين القصيدة دون الركون إلى المباحث النقدية. ومقالة نشرها قائمى وزملاؤه باللغة الفارسية فى مجلة "أدب عربى" العدد الثانى عام ١٣٩٣ش بعنوان مضامين الالتزام الأدبى فى أشعار فاروق جويدة (مضامين تعهد ادبى در اشعار فاروق جويدة)، فأشار الباحثون إلى أهم مضامينه الشعرية كالحرية السياسية ورفض الفقر والدعوة إلى التمرد وكان الشاعر ملتزما سياسيا، فتجلى المضامين السياسية فى شعره أكثر من غيرها من المضامين. وأخيرا مقال لحسن كودرزى لمراسكى: «الوجودية فى شعر صلاح عبدالصبور»، مجلة "اللغة العربية وآدابها" مجلد ٨ العدد ١٥ حيث تشير المقالة إلى مظاهر "الوجودية" فى شعر الشاعر صلاح عبدالصبور والتفصيل بها من زواية الرؤية الوجودية لتحليل عناصرها الشعرية التى تشكلها ككلّ منسجم يلقى بمهامّ القضايا الفكرية والمعرفية ومنها "الالتزام" الذى يهتمّ به الشاعر فى وعيه ولاوعيه دون أن يلقى نظرة على دراسات فلسفية وأخرى اجتماعية وسياسية فى هذا المضمار ليبين مدى فاعلية الرؤية الوجودية لحرية التعبير عند صلاح عبدالصبور.

فمما مر يتبين أن الباحثين لم يهتموا بالمفارقة بين مفهومى الالتزام فى النقد الحديث والشعر العربى المعاصر ليبينوا مدى الانفصال الذى حصل بين النقد والشعر فى عهدنا الحاضر وهذا ما اهتم به هذا المقال دون غيره من البحوث المنشورة لاهميته وللتأكد على ضرورة تأسيس النقد العربى على أسس مقتبسة من الشعر العربى ولا على الأفكار الوافدة عليه من العالم الآخر.

مفهوم الالتزام الأدبى

الالتزام لغويا، من لزم الشئ والتزمه، أى لايفارقه، والالتزام: الاعتناق (ابن منظور،٥٤١/١٢؛ الفيروزآبادى، ١١٥٨) ولها دلالات مختلفة المعانى تشترک فى أخذ الفرد على عاتقه أو تعهده لنفسه باتيان عمل بطريقة معينة فى الأداء. (هاشم، ١٩٩٣م: ٢٠) واتخذت اللفظة، اليوم، معنى اصطلاحيا نتيجة لتطور الفكر الحديث فكثر استخدامه فى الفكر والأدب والفن دالة فى مضمونها على مشاركة واعية فى قضايا الجماهير والعمل على حل مشكلاتهم (طبانة، ١٩٧٩م: ١٥) أو وجوب إحساس الأدباء والفنانين

بالمسؤولية أمام مجتمعهم ووطنهم، رافضة جعل الأدب والفن تسلية يُرسَل بحرية (التونجى، ١٩٩٩: ١٢٣) والالتزام الأدبى هو حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلى إلى التعبير الخارج عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب من آثار تكون حاصلة لمعاناة صاحبها ولاحساسه العميق بواجب الكفاح ولمشاركته الفعلية فى تحقيق الغاية من الالتزام (عبدالنور، ١٩٨٤م: ٣١) أو اعتبار الأديب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان وعن وجهة نظر محددة فى الحياة وتحمل مسؤوليتها (مندور، لاتا: ١٢٤) أو وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن فى القضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال (غنيمى هلال، ١٩٩٧م: ٤٥٦) عن موقف صلب محدد مرتبط بالعقيدة. ففكرة الالتزام بهذا المفهوم جديدة فى الأدب العربى الحديث بل فى الآداب العالمية (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ١٦) ومحددة للأدب غايةً قد تكون إيحائية، فردية تهدف إلى متعة فنية مضافا إليها خدمة اجتماعية، أو اجتماعية ترى أن الشعر يساوى خدمة اجتماعية مضافا إليها متعة فنية. (المنصورى، ٢٠٠٠م: ١٠٧) فانتشر، أخيرا، مصطلح الالتزام والصيغ المشتقة منه على نطاق واسع فى الخطاب الأدبى دالا على ممارسة أدبية وثيقة الارتباط بالسياسة وبالمناقشات التى تثيرها (دونى، ٢٠٠٥م: ٩) فمصطلح الالتزام شمل مضمون الشعر دون شكله الفنى ولأجل ذا ارتبط بالقضايا الاجتماعية والسياسية أشد الارتباط.

الالتزام الأدبى تاريخيا

منذ أفكار أفلاطون فى الجمهورية، لم يكن الأدب قط موضوعا محايدا ولا مباليا. (المصدر نفسه: ١١) فقديما كان أفلاطون يدعو إلى غاية تربوية خلقية للشاعر (غنيمى هلال، ١٩٩٧م: ٤٥٣) وكذلك أرسطو وإن كان حصرها فى الشعر الملحمى والمسرحى. (المنصورى، ٢٠٠٠م: ١١٠) أما ظهور مصطلح الالتزام المنبثق من موقف أيديولوجى متسم بالوعى فيرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث مهدت المذاهب الأدبية المتصارعة، الأرضية المناسبة له (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ٢٤) لأن الشعر فى العصر الحديث خرج عن دائرته الفردية وصار آلية فكرية فاعلة فى ساحة الحرب العقائدية.

الالتزام فى الواقعية الاشتراكية

فللواقعية الاشـتراكية والوجودية السارترية النصيب الأوفى فى الدعوة إلى الالتزام وتعميمه وتطبيق مبادئـه فى الأعمال الأدبية. (طبانه، ١٩٨٤م: ١٦، ١٧) ويدل مصطلح الالتزام، فى الواقعية الاشـتراكية، على إلزام الأديـب على أخذ مقومات وجوده الفنى من الحياة المعيشية ومعالجتها فى اتجاه إيجابى، فالفنان ملتزم حتميا، لأنه جزء من عملية البناء الشـيوعى (عيد، ١٩٨٨م: ١٣٠- ١٤٠) وللأدب، حسـب المعتقد الماركسى، قوة اجتماعيـة قادرة على إحداث تغييرات هائلة فى حيـاة الجماهير. (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ٣٠) وهكـذا أصبحت الدعوة إلى الالتزام من تعاليم الواقعية الاشـتراكية الأساسـية، حيـث عبّر عنها قرار اللجنة المركزية للحزب الشـيوعى (طبانـه، ١٩٨٤م: ١٦) وكان مكسـيم جوركى أول من اسـتخدم هذا المصطلح (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ٣٣) مهاجما على الواقعية القديمة لإيمانه بغلبة الخير على الشـر فى روح الإنسان وتمجيده دور الشعب فى خلق حياة إنسـانية فضلى. (العشـماوى، ١٩٩٤م: ١٨١) أخـذ على مفهوم الالتزام فى الواقعية الاشتراكية، مقياسه الاجتماعى الضيق الذى ارتضته، حيث صادرت الأعمال الأدبية التى تخلو من المضمون الدعائى لقضيتها، لا لسـبب إلا لخلوها من هذه الوجهة الدعائية. (عيد، ١٩٨٨م: ١٧٢- ١٧٣)

الالتزام فى الوجودية السارترية

أما وجودية سـارتر فلها أثر بعيد فى تكوين مفهوم الالتزام (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ١٦) فسُـمى الأدب الوجودى بالأدب الملتزم لالتزامـه موقفا محددا من كل حدث فردى أو اجتماعى أو وطنى وشـأنها فى الالتزام شأن الاشتراكية فى اعتبار الأديب مسؤولا عن كل ما يكتب، إلا أنها حصرته فى النثر دون الفنون الأخرى «لأن ميدان المعانى إنما هو النثر.» (سـارتر، لاتا: ١٢) وبما أن الإنسان، فى الفلسفة الوجودية، مصدر الوجود وإنه حر ومسؤول ومن طبيعة العمل المسؤول أن يكون هادفا إلى غاية محددة، فبنى الالتزام الأدبى فيها على أسـئلة لم يسأل إنسان نفسـه عنها وهى: « ماالكتابة؟ لماذا نكتب؟ و لمن؟» (المصدر نفسه: ٨) قد انفرد سارتر من بين نقاد الغرب بالتعمق فى فلسفة الالتزام

القائم على إقرار حرية الكاتب ومسؤوليته معا (غنيميهلال، لاتا: ١٤٧) حيث لا يتحقق تعديل الحاضر لبناء المستقبل إلا بالحرية. (وهبة، ١٩٨٤م: ٥٨) رغم تأثر وجودية سارتر بالواقعية الاشتراكية، فى الالتزام الأدبى، فانه يراه فرديا خلافا للاشتراكية التى تعتبره جمعيا حتميا (عيد، ١٩٨٨م: ١٥٦) لذلک حذر من طغيان الإرادة الحزبية والإرادة الجماعية على الإرادة الفردية وعلى حرية الأديب مسخرا إياه لغاية غير إنسانية. (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ٤٩)

الالتزام فى الإسلامية السياسية

للثقافة الإسلامية فى الوسط الاجتماعى العربى تأثير هام جدا خاصة بعد ظهور السيد جمال الدين الأسدآبادى فى مصر واتصاله بالأدباء حيث أصبح الروح الكامن وراء حيوية الأدب العربى الحديث ودفعه نحو الاهتمام بالمسائل اليومية (الدسوقى، ١٩٧٣م: ٣٢٧) فاستطاع بفضل نشاطاته الفكرية والسياسية والدينية أن يكون جماعة فذة من الأدباء والمثقفين الذين مهدوا السبيل للنهضة الأدبية المعاصرة، فجعل الوعى الدينى والصحوة الإسلامية منطق النضال القومى (ميرزائى وطاهرى نيا، ١٤٢٥ق: ٧٢) فكانت الإرهاصات الأولى لفكرة الالتزام ظهرت عند جمالالدين الأسدآبادى الذى كان ينصح معاصريه من الأدباء أن يجعل أدبهم فى خدمة مصر، ثم قوى هذا التيار بفضل نشاطات تلميذه محمد عبده والذى كان على رأس هذا الاتجاه وغايته جعل المسلمين أقوياء قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الاجنبى. (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ١٠٩) فالأديب ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون والحياة والإنسان، فيما سمى بعد بالأدب الإسلامى أو الواقعية الإسلامية. والتزام الأديب الإسلامَ «نابع من أعماق نفسه ويعد مقوما من مقومات وجوده، ثابت عليه لايتزعزع عنه مهما كثرت المحاولات لصرفه عنه لأن ما ألزم به نفسه جزء لا يتجزأ من عقيدته ... يرخص كل غال نفيس فى سبيله للحفاظ عليها، ثم الأديب المسلم ملتزم بالله المتصف بصفات الكمال وملتزم بشريعة مقررة ثابتة ومثل محددة واضحة لم يبتدعها من عند نفسه ابتداعا.» (حماد، ١٤٢٢ق: ٢٦)

هكـذا إن الالتزام من منظور الرؤية الإسـلامية يختلـف اختلافا جذريا عن مفهوم الالتزام فى النقد الاشتراكى المعتمد على الإرادة الجماعية دون الإرادة الفردية والرؤية الوجودية المعتمدة على الإرادة الفردية للأديب لحريته فى التعبير الأدبى رفضا الإرادة الجماعية.

الالتزام الأدبى فى النقد الأدبى

لم يكـن النقد الأدبى القديم يعنـى بالالتزام لأن النظرة العامـة فيه هى البحث عن المتعـة الخالصة (عيـد، ١٩٨٨م: ٢١٣) وكان مفهوم الأدب عند نقـاد العرب القدامى، صناعة تعتمد على الجمال الأدبى، فالشـعر عند ابن سلام «صناعة» (١٩١٣: ٣) وعند الجاحظ محصور فى «صناعة وضرب من النسـج وجنس من التصوير». (١٩٣٨: ١٣٢) ومثله عبدالقاهر يرى أن «سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة.» (٢٠٠٧: ٢٦١) وابن حـازم القرطاجنى ترى الحاجة الأكيدة فى هذه الصناعـة «إلى اختيار اللفظ واحكام التأليف.» (١٩٨٦: ١٢٩) إذن، فالاتجاه العام عندهم هو اعتبار الجمال فى الشكل دون المحتـوى، لأن المعانى مطروحة فى الطريق لكل إنسـان (الجاحظ، ١٩٣٨م: ٣٢) وليس لمجـرد المعنى الفضل والمزية فى الكلام. (الجرجانى، ٢٠٠٧م: ٢٦٢) وتُسـتنتَج من كثرة النقد القائم على الأسـاس الجمالى الصرف عند نقاد العـرب القدامى، أن نظرية الفن للفن أساسية وطبيعية فى الفن القولى (إسماعيل، ١٩٩٢م: ٣٣، ٣٤٩) وأن استهداف غاية الخير فى الشـعر كان يحط من قدر الشعر والشعراء لأنهم لم يجعلوا مهمة الشعر الوصول إلى غايات الخير وإنما مهمته أن يحسن الكلام فحسب. (المصدر نفسه: ٣٣٨)

وأما فى النقد الأدبى الحديث فنشـأت فكرة الالتزام الأدبى، كمذهب فلسفى، نتيجة للاحتكاك الثقافى بالغرب ثم أصبحت فى طليعة القضايا التى شـغلته. (طبانة، ١٩٨٤م: ٧٩) مسـار تطور هذا المصطلح يدل على اسـتقبال العرب، أولا، للأفكار الاشـتراكية التى دعا إليه سـلامة موسى كأول كاتب أثار مسـألة الاتصال الجماهيرى (الجيوسى، ٢٠٠٧م: ٦١٨) ثم تبلور فى شخصيات منها محمود أمين العالم، وعبدالعظيم أنيس وعبد الرحمن الخميسـى وعبدالرحمن الشرقاوى ولويس عوض (عيد، ١٩٨٨م: ٢١٣– ٢٣٢)

واللبنانيان رئيف خورى فى كتابه الأدب المسؤول، وحسين مروة فى كتابه دراسات نقدية فى ضـوء المنهج الواقعى. (يقطـين ودراج، ٢٠٠٣م: ١٢٥-١٢٦) وإلى جانبهما مارون عبود، فكان دورهم أساسـى فى نشـر أفكار الأدب الملتزم فى الخمسينيات. (الجيوسى، ٢٠٠٧م: ٦١٩) إن هذا المسـار النقدى الاشتراكى أو الماركسى، رغم المساحة الكتابية الواسـعة، أدخل إلى النقد الأدبى استسـهالا مفرطا لشعار الالتزام متصفا بوهن فكرى شـديد (يقطين ودراج، ٢٠٠٣م: ١٢١، ١٢٢) وثانيا لوجودية سـارتر التى وجدت أكبر دعم من صفحات مجلة الآداب البيروتية التى تأسسـت فى خمسـينيات القرن العشرين حيث كانت المناقشـات حـول الأدب الملتزم فى أوجها. (الجيوسـى، ٢٠٠٧م: ٦١٧-٦١٨) فالمفهـوم الميتافيزيقى لرفض الواقع والتمرد عليه، دون الثورة، هو بداية الالتزام الوجودى أو ما سماه نقاد العرب، الإنسـانى النابع من الإحسـاس الذاتى بالمشـاركة الجماعية.

بين هذا وذاك، ظهر مسار معتدل كان يؤمن بالالتزام دون دوافع خارجية عن ذات النقد. فسيد قطب لايرى غاية العمل الأدبى فى قضايا فلسفية أو صراعا طبقيا أو دفاعا عـن الفضيلة إلا أن يصبح ذلك جزءا من تجربة الأديب الشـعورية لأن فى ذات العمل الأدبى غاية إنسـانية (٢٠٠٣: ١٢) وإحسـان عباس يعتقد أن انعدام البعد الفاصل بين الفنان والشـعب يؤدى بالفنان إلى تفهم لأوضاع ذلك الشعب وتطلعاته وأن للنقد قوة موجهـة ذات فعل وظيفـى تجعل الأدب قادرا على أن يخـدم قضايا مختلفة فى المجتمع ولكنه ينهى عن الإسراف فى إظهار الغاية لأنه يتحول بالفن إلى دعاية. (٢٠٠٠م: ٦٠٣ و٣٢٩-٣٥٩) وجعـل محمد منـدور توجيه الأدب نحو تأدية وظيفتـه الاجتماعية، من وظائـف النقـد الأدبى (مندور، ١٩٨٨م: ٢٢١) فحاول إقامة التـزام يجمع بين الواقعية الاشتراكية والوجودية فيما يسـميه بالمنهج الأيديولوجى النابع من اهتمامه بالمضمون وأولويته، وكل ما يرجوه هو استجابة الفنان لحاجات عصره وقيم مجتمعه بطريقة تلقائية. (مندور، ١٩٩٧م: ١٨٧-١٩٠)

ثم هناك مسار رافض للالتزام فى النقد الأدبى الحديث حيث يراه قيدا للفنان وكبتا لحريته، متمثلا فى توفيق الحكيم الذى يعتقد أن الالتزام بالأغراض القومية والإصلاحية

قد يكون من منفرات الأثر الأدبى (لاتا: ٣٠١- ٣٠٢)، وجبرا إبراهيم جبرا الذى يرى أن فكرة الالتزام المأخوذة عن سارتر والذى أخذها بدوره عن الماركسية، سببت فى تدنى النتاج الفنى بسبب تقريريتها ولأنه يتوخى السياسة أكثر مما يتوخى الإنسان (عزام، ١٩٩٩م: ٩٣و٩٤) وطه حسين الذى رفض الالتزام ودعا إلى حرية الفنان المطلقة فى أدائه وفى تجربته لأنه حر بطبعه ومثله روز الغريب وزكى نجيب وأنور المعداوى وحجتهم هو الخوف من الدعاية المفرطة والوقوع فى قبضة الدولة. (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ٢٧٠ و٢٧٣ و٢٧٥) يمكن الاستنتاج أن النقاد الذين دعوا إلى الالتزام الأدبى مالوا، بشكل ما، إلى الواقعية الاشتراكية نظرا للظروف الاجتماعية الداعية إلى ذلک وأن الذين رفضوه فقد أخافتهم المخاطر التى تعرض لها الأدب حين طبقت نظرية الالتزام فى البلاد الشيوعية تطبيقا صارما حيث أصبح الأدب أداة فى يد حكامها.

الالتزام فى الشعر العربى

كان الالتزام كموضوع أدبى، أى: الانحياز إلى جانب موضوع معين، موجودا فى الأدب العربى منذ عصوره الأولى، لأن الأدب فى معناه، يحتضن هموم المجتمع والإنسانية، فمن الصعب تصور أديب غير ملتزم و«إن لم يكن هذا الالتزام نابعا من فكرة إلا ما شذ وندركأدب الشيعة والخوارج.» (المصدر نفسه: ٢٩٤) فأبرز مظاهره فى الأدب القديم، تجلى فى الشعر السياسى متمثلا فى الجاهلية بالولاء للنظام القبلى الذى يعد صورة مصغرة للدولة (الشايب، ١٩٧٦م: ٥) ثم فى الفروسية والقيم الاجتماعية كالمروءة (المنصورى، ٢٠٠٠: ١١١) وفى صدر الإسلام، ظهر للدفاع عن الرسالة النبوية فى شعر حسان بن ثابت، وحين غلبت السياسة على الأدب العربى فى العصر الأموى تجسد فى تيارات أدبية موالية للأحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة والإمامة متمثلا فى الشيعة والأمويين والخوارج والزبيريين. (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ٧١) ومن أبرز شعرائهم الكميت بن زيد الأسدى ممثلا موقف الشيعة والتزامه كان دينيا وأخطل بنى تغلب ممثلا موقف الخلافة الأموية والتزامه كان سياسيا وعبدالله بن قيس الرقيات شاعر الزبيرية وقطرى بن الفجاءة والطرماح بن حكيم من شعراء الخوارج (الشايب، ١٩٧٦م: ٦،

١١، ١٢) وفى العصر العباسى سار الالتزام فى ثلاثة اتجاهات: سياسى فى صراع قومى عند أبى تمام والبحترى والمتنبى إلى جانب العرب وعند مهيار الديلمى إلى جانب الفرس؛ ودينى امتدادا لحركة بدأت مع ظهور الإسلام فتمثل فى الشعر الشيعى عند دعبل الخزاعى والشريف الرضى والشعر الصوفى عند ابن فارض؛ واجتماعى فى شعر المعرى فى موقفه الفكرى الواعى الذى تخطى الالتزام لديه حياة المجتمع وأحواله إلى موقف إنسانى عام (ابوحاقة، ١٩٧٩م: ٨٢- ١٠٣) فالشعر عند هؤلاء الشعراء رسالة فنية مؤثرة لإلقاء ما فى ضميرهم.

وأما الالتزام فى الأدب المعاصر فترجع نشأته وازدهاره إلى عوامل؛ منها: صعود الجذر الإسلامى الممتد من الماضى والتطلع إلى مجد الأمة الضائع (المنصورى، ٢٠٠٠م: ١٢٠)؛ ثم الأفكار الوافدة من الغرب، سواء أكانت وجودية وافدة من أوروبا الغربية أو ماركسية قادمة من أوروبا الشرقية، حيث طغت موجة الالتزام، على الأدب فى خمسينات القرن العشرين (الخطيب، ١٩٨١م: ٣١)؛ وعند الشعراء خاصة قد تجلى فى ثوب ما يطلق عليه الحرية الوجودية والتى ترتكز على وعى الإنسان وفكره (گودرزى لمراسكى وزملاؤه، ١٣٩٣ش: ١١٣) والاجتماعى الناشئ عن احتكاك الأدباء بمشكلات الحياة (اسماعيل، ١٩٨٨م: ٣٧٤) وإحساسهم بالظلم الاستعمارى الذى أدى بهم إلى مسايرتهم الثورات العديدة الاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية فى البلدان العربية، فأدرک الشعراء ضرورة ارتباط الأدب بالعمل الاجتماعى والسياسى، منهم من قصد استنهاض الهمم بذكر المساوئ والتنبيه إليها كالرصافى وحافظ ابراهيم (عباس، ٢٠٠٠م: ٥٨٢) ومنهم من اتخذه مرحلة كالسياب، ومنهم من تناوله كموضوع من الموضوعات العديدة التى يتناولها كأحمد عبدالمعطى حجازى، وصلاح عبدالصبور، وكيلانى سند، ومنهم من جعله مدارا لرؤيته الشعرية كموقف خاص مثل البياتى، وكاظم جواد وسعدى يوسف ومظفر النواب وشوقى بغدادى ومحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ومحمد مفتاح الفيتورى (الورقى، ١٩٩٣م: ٢٢٦-٢٢٨) أما عند شعراء المقاومة فاتخذ الموقف الاجتماعى إلى جانب الحماس الانفعالى شكلا ملتزما أكثر تحديدا (الورقى، ١٩٩٣م: ٢٣٣) فقدموا مثالا طيبا على نجاح الواقعية الملتزمة (الخطيب، ١٩٨١م: ٣٣) وبث روح

المقاومة فى الشعب الفلسطينى، أمام أعدائهم.

اتجاهات الالتزام الادبية

تجلى موضوع الالتزام فى الأدب العربى الحديث فى ثلاثة تيارات:

١. التيار الإسلامى المتجسد فى حركة اليقظة العربية الإسلامية، فكانت الإرهاصات الأولى لفكرة الالتزام ظهرت عند جمالالدين الأسدآبادى الذى كان ينصح معاصريه من الأدباء أن يجعل أدبهم فى خدمة مصر (الدسوقى، ١٩٧٣م: ٣٣٣-٣٣٦) كان وتلميذه محمد عبده على رأس هذا الاتجاه وغايته جعل المسلمين أقوياء قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الأجنبى. (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ١٠٩)

٢. التيار القومى وكان هدفه بعث الحضارة العربية وإحياء تراثها ولغتها واعتبار الحضارة الأوروبية المعاصرة كنموذج أمثل للاحتذاء بها (المصدر نفسه: ١٧٦)، فتمثل عند عبدالرحمن الكواكبى، وأمين الريحانى، والبارودى، ومعروف الرصافى. (المنصورى، ٢٠٠٠م: ١٣٢)

٣. التيار الوطنى أو القومية الإقليمية: التى كانت أساسه أن الرؤية الوطنية وجدانى يتمثل فى ما يكنه العربى من حب لوطنه وقد مزج بالقومية (المصدر نفسه: ١٣٧- ١٣٦) فتجسد فى شعر شعراء كأحمد شوقى فى بعض قصائده الوطنية، وحافظ ابراهيم من مصر وأبى الفضل الوليد من لبنان وأبى القاسم الشابى من تونس ومفدى زكريا من الجزائر، وعبدالمحسن الكاظمى من العراق.

ومن العسير إقامة فاصل بين هذه الاتجاهات الثلاث لتداخل بعضها فى بعض، فهى فى الواقع تمثل ثلاث درجات من التفكير السياسى: الكبرى (الإسلامى)، والوسطى (القومى)، والصغرى (الإقليمى). (أبوحاقة، ١٩٧٩م: ١٤٧)

وأخيرا إن قضايا الالتزام فى الأدب الحديث كثيرة كالحرية والعدالة والوحدة العربية، ولكن أهم قضية مثلت مساحة ضخمة من واقع العرب المعيش، هى قضية فلسطين ومايتصل بها من الأرض السليبة والهجرة الأليمة والحق الضائع والدعوة المتفاعلة بالعودة (ابوحاقة، ١٩٧٩م: ٢٩٩) ويبدو أنه حين عجز الفكر السياسى العربى

عــن حل النكبة، فقد ألقى بمســؤوليته تلك على الأدب عامة وعلى الشــعر خاصة. (عباس، ٢٠٠٠م: ٥٧٦) منذ نكبة فلســطين عام ١٩٤٨م بدأت يتطور المضمون الفكرى للشــعر العربى من التمرد الرافض المشــوب بمشــاعر الغربة والحزن الميتافيزيقيين إلى التمرد الإيجابى الثائر، فكل الشــعراء ذوى النفوذ الأدبى الذين ينتمون إلى هذه الفترة قد مروا بهذا التطور. (اسماعيل، ١٩٨٨م: ٣٩٦-٤٠٠) فالالتزام فى الشعر الحديث تمثّل فى التمرد والرفض والانحياز إلى القيم الثورية.

النتيجة

يبــدو واضحا لمن يتدبر فى أمر الالتــزام فى الأدب العربى الحديث، أن مفهومه، عند النقاد، متأثر إلى حد كبير من المفهوم الاشتراكى له، وعند الشعراء مأخوذ من وجودية ســارتر المتســمة بالقلق والرفض المشــوبين بالتمرد الثورى والتأمل فى معاناة الإنسان المعاصر ويُسْــتَثنَى من ذلك الأدباء الإسلاميون حيث التزموا بالدين الإسلامى القيم فى أهدافه الســامية. هذه الفجوة ناتجة عن الاختلاف فى مشــرب كل واحد منهم فالنقاد اتجهــوا نحو التيارات النقديــة الحديثة والوافدة عليهم من الغرب لتبيين مفهوم الالتزام وحصروه فى مفهوم نقدى اشــتراكى لأنهم يميليون بعض الميل أن يرشــدو الشــعر نحو وظيفته الاجتماعية تجاه المجتمع ليؤدى رســالته الاجتماعية والسياســية ولكن الأدباء كانوا يبحثون عن حرية التعبير لظروهم الصعبة التى فرضتها عليهم الاستبداد السياسى. وأما الشاعر الإسلامى فيأخذ مبادئه الشعرية من العقيدة الدينية. هذه الفجوة بين النقد والشعر جعلت النقاد يبتعدون عن النص الشعرى العربى.

ثم رغــم وجود نماذج من التزام الشــاعر إلــى جانب قبيلته أو عقيدته فى الشــعر العربــى القــديم، إن النقد الأدبى القديم لم يكــن يُعنى بالالتزام لأن النظــرة العامة فيه هــى البحث عن المتعة الخالصة وكان مفهوم الأدب عند نقــاد العرب القدامى، صناعة تعتمــد على الجمــال الأدبى، إذن مصطلح الالتزام مصطلح حديث ظهر فى الأوســاط النقدية والأدبية متأثرا بالروافد الغربية كالاشتراكية والوجودية. تجسد الالتزام الأدبى فــى الأدب الحديث فى الاتجاهات الثلاثة يمثل ثلاث درجات من التفكير السياســى:

الكبرى (الإسلامى)، والوسطى (القومى)، والصغرى (الإقليمى) ومن أهم ما التزم به الشعر العربى المعاصر، بعد ظاهرة الرفض، قضية فلسطين المأساوية التى حظيت بقسط وفير من الشعر العربى الحديث.

المصادر والمراجع

ابن سلام الجمحى. (۱۹۱۳م). طبقات فحول الشعراء. هولندة: ليدن.

ابن‌منظور، جمال‌الدين محمد بن مكرم. (لاتا). لسان‌العرب. لامک: لانا.

ابوحاقة، احمد. (۱۹۷۹م). الالتزام فى الشعر العربى. بيروت: لانا.

اسماعيل، عزالدين. (۱۹۸۸م). الشعر العربى المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. بيروت: دارالكتب العلمية.

ـــــــ (۱۹۹۲م). الأسس الجمالية فى النقد العربى: عرض وتفسير ومقارنة. القاهرة: دار الفكر العربى.

انصارى، نرگس. (۲۰۱٦م). «شعر فاروق جويدة فى دراسة أسلوبية (دراسة فى شعره الملتزم)». مجلة اللغة العربية وآدابها. المجلد ۱۲. العدد ۱. صص ٤۷-۲۷

التوحيدى، أبوحيان. (۲۰۱۱م). الإمتاع والموانسة. الجزء الثانى. بيروت: المكتبة العصرية.

التونجى، محمد. (۱۹۹۹م). المعجم المفصل فى الأدب. بيروت: لانا.

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر. (۱۹۳۸م). الحيوان. تحقيق وشرح عبدالسلام هارون. بيروت: لانا.

الجرجانى، عبدالقاهر. (۲۰۰۷م). دلائل الإعجاز. تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية. دمشق: لانا.

الحكيم، توفيق. (لاتا). فن الأدب. القاهرة: دار مصر للطباعة.

حسين، طه. (۱۹۷۹م). خصام ونقد. بيروت: لانا.

حماد، سهلية بن زين العابدين. (۱٤۲۲ق). التيار الإسلامى فى شعر عبدالرحمن العشماوى. رياض: مكتبة العبيكان.

الجيوسى، سلمى خضراء. (۲۰۰۷م). الاتجاهات والحركات فى الشعر العربى الحديث. ترجمه: عبدالواحد لؤلؤة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الخطيب، حسام. (۱۹۸۱م). الأدب المقارن. الجزء الثانى. دمشق: لانا.

الدسوقى، عمر. (۱۹۷۳م). فى الأدب الحديث. ج۱. القاهرة: لانا.

دونى، بونوا. (۲۰۰۵م). الأدب والالتزام، من باسكال إلى سارتر. ترجمة محمد برادة. القاهرة:

لانا.
سارتر، جان بول. (لاتا). ما الأدب. ترجمة محمد غنيمى هلال. لامک: لانا.
رجبى، فرهاد. (١٣٩٣ش). «تحليل شـعر "البحار" و"الدرويش" خليل حاوى بر مبناى فلسفه سارتر». مجله نقد ادب عربى معاصر. دوره ٤. شماره ٧. صص ١٠٦-٧٥
الشايب، أحمد. (١٩٧٦م). تاريخ الشعر السياسى إلى منتصف القرن الثانى. بيروت: لانا.
طبانه، بدوى. (١٩٨٤م). قضايا النقد الأدبى. الرياض: دار المريخ للنشر.
عباس، إحسان.(٢٠٠٠م). محاولات فى النقد والدراسات الأدبية. بيروت: لانا.
عزام ، محمد. (١٩٩٩م). المنهج الموضوعى فى النقد الأدبى. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
العشماوى، محمدزكى. (١٩٩٤م). دراسات فى النقد الأدبى المعاصر. بيروت: لانا.
عيد، رجاء. (١٩٨٨م). فلسفة الالتزام فى النقد الأدبى. الاسكندرية: منشأة المعارف.
القرطاجنى، ابوالحسـن حازم. (١٩٨٦م). منهاج البلغاء وسـراج الأدباء. تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه. بيروت: لانا.
قائمى، مرتضى وميرزائى، فرامرز وصمدى، مجيد. (١٣٩٣ش). «مضامين تعهد ادبى در اشعار فاروق جويده». مجله ادب عربى. سال پنجم. شماره ٢٣. صص ٢٠١-٢٢٢
قطب، سيد. (٢٠٠٣م). النقد الأدبى: أصوله ومناهجه. القاهرة: دارالشروق.
عبد النور، جبور. (١٩٨٤م). المعجم الأدبى. بيروت: دار العلم للملايين.
غنيمى هلال، محمد. (لاتا). قضايا معاصرة فى الأدب والنقد. القاهرة: لانا.
ـــــــ (١٩٩٧م). النقد الأدبى الحديث. القاهرة: لانا.
كشـاورز، حبيب. (٢٠١٨م). «الالتزام وأثره فى العاطفة الشـعرية فـى عصر النهضة (حافظ إبراهيم وأحمد شـوقى نموذجا)». مجلة اللغة العربية وآدابها. المجلد١٤. العدد٣. صص ٥١٦-٤٩٥
گودرزى لمراسـكى، حسـن. (٢٠١٢م). «الوجودية فى شـعر صلاح عبدالصبور». مجلة اللغة العربية وآدابها. المجلد الثامن. العدد الخامس عشر. صص ١٢٣-١٠٧
ـــــــ ومفتخرزاده، سـيدعلى وحيدرى، ايوب. (١٣٩٣ش). «الحرية فى أشعار يوسف الخال». مجلة إضاءات نقدية فى الأدبين العربى والفارسى، السنة الرابعة، العدد الخامس عشر، صص ١١٣-١٣٠
مندور، محمد.(١٩٨٨م). فى الميزان الجديد. تونس: موسسات بن عبدالله.
ـــــــ (١٩٩٧م). النقد والنقاد المعاصرون. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
ـــــــ (لاتا). معارک أدبية. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.

المنصورى ، جابر. (٢٠٠٠م). النقد الأدبى الحديث. عمان: لانا.
ميرزائى، فرامرز؛ طاهرينيا، على باقر. (١٤٢٥ق). «دور السيد جمال الدين الأسد آبادى فى النهضة الأدبية المعاصرة». مجلة العلوم الإنسانية. العدد ١١(٢). صص ٦٥- ٧٣
الورقى، السعيد. (١٩٨٤م). لغة الشعر العربى الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية. بيروت: لانا.
هاشم، سهام. (١٩٩٣م). الالتزام عند الكتاب المصريين. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.
وهبة، مجدى؛ مهندس،كامل. (١٩٨٤م). معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب. بيروت: لانا.
يقطين، سعيد؛ دراج، فيصل. (٢٠٠٣م). آفاق نقد عربى معاصر. دمشق: لانا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی